أمك أرعة ولا لأ؟

أمك أرعنة ولا لأ

أتذكر أول مظاهرة رأيتها في حياتي كانت سنة 2000 حينما كنت في الثانية عشرة من عمري، وكانت المظاهرة تخرج من مدرستي الإعدادية الموجودة في سيدي بشر بالإسكندرية، وكانت خارجة تضامُنًا مع إخواننا في فلسطين حيث كان وقتها الانتفاضة الثانية ضد الغارات الغاشمة التي شنتها إسرائيل على فلسطين .ووقتها كان يقال فلسطين ولا يقال غزة أو حماس، وكان وقتها رئيس الوزراءالإسرائيلي هو شارون.

لا أخفي عليكم ..كنت غير ملمة بمجريات الأمور ولا أعرف حقيقة ما يحدث .ولكن كنت متعاطفة مع الفلسطنيين، ولا أفهم معنى مظاهرة وما فائدتها .وكل ما أعرفه عن هذه المظاهرات كما أرى في أفلامنا العظيمة إنها وطنية وتلبس أهلها حلة البسالة، وقد تتعرض للخطر أو للضرب من قوات الأمن.

وفي نفس الوقت كان فضولي يقودني لمشاهدة المظاهرة. كنت أشاهد المظاهرة من بعيد وأسمع الهتافات الحارة .وأخذت بالاقتراب منهم حتى وجتني فيها وأهتف معهم ..ثم انضمت مظاهرة أخرى إلى مظاهراتنا . وكانت مظاهرة منطلقة من مدرسة الأولاد القريبة من مدرستنا.

زادت الحرارة في المظاهرة ..وزاد عدد المنضمين لها ..حشود من الطلبة لا تميز منها إلا اللون الأبيض فقط للقمصان فالبناطيل الرمادية والجيبات الكحلي لا يمكن تمييزها على مستوى الناظر من الأعلى أو مستوى المشاة ..

واستلم قيادة المظاهرة أستاذ ناصر، وهو أستاذ اللغة العربية من مدرستنا وأخذ يهتف بهتافات حارة، ونحن نردد وراءه .ثم تبادل القيادة مع أستاذ آخر لا أعرفه ولكني أراه في مدرستنا ..ثم استلم القيادة رجل آخر لا أعرفه ..قد يكون مدرسًا من مدرسة الأولاد .وأخذت المظاهرة في الاحتماء وانضم لها عدد أكبر من الناس، فلم تعد تقتصر فقط على اللون الأبيض .بل تطعم الحشد الكبير بعدة ألوان أخرى.

مشينا كثيراً. فتعب بعض الطلبة وغادر المظاهرة .ومنهم من خاف من أهله والتأخر عن موعد العودة إلى المنزل فرحل.

استلم المظاهرة رجل من المنضمين الجدد ليقودنا .وأخذ بحماس ترديد هتاف جديد من نوعه لم يكن ضمن الهتافات مسبقًا وهو ..(يا شارون قول الحق أمك أرعة ولالأ).

ورددت وراءه في حماسة أنا ومن معي (يا شارون قول الحق أمك أرعة ولا لأ) عدة مرات في التهاب يغمره لذة المراهقين.

ثم سكت عن الترديد وتساءلت .هل قضيتنا فلسطين والظلم الواقع عليهم .أم القضية قضية رأس أم شارون.

إذا كانت أمه قرعة أم لها شعر؟ وإن لم تكن ..فهل هذا يضعف موقفنا؟ ماذا لو اعترف شارون غدًا في مؤتمر صحفي عالمي أن أمه قرعة .. هل نكون قد نجحنا وكسبنا قضيتنا؟ وإذا ظهر مع الوقت إنها إشاعات مغرضة .بل إن أم شارون حسناء صهباء كثيفة الشعر .هل معنى ذلك ضياع القضية الفلسطينية إلى الأبد؟؟..

ازداد اختلاط الألوان داخل الحشد .هذه الهتافات جذبت عددًا أكثر من الجمهور .وجذبت أسئلة أكثر إلى رأسي الصغير.

ماذا لو كانت أرعة فعلًا وقامت بعملية زرع شعر محكمة .وبعد زرع الشعر ميزو ثيرابي وعدة معالجات فأصبح شعرها كشعر شيريهان في ألف ليلة وليلة ....هل حينها سيعترف المجتمع الدولي بشعر أم شارون أم سيعد ذلك تدليسًا وتزويرًا في الحقائق. فرددت مع الهاتفين بنفس الحماسة وبأعلى صوت مطالبين بمعرفة حقيقة رأس أم شارون.

ثم استلم المظاهرة رجل آخر .أخذ يردد شعارًا آخر عن أم شارون مرة أخرى .حتى اختلط علي الأمر في البداية .هل أم شارون هي التي تقود الظلم البين على قطاع غزة أم شارون؟؟.

لماذا لم ينفك المتظاهرون عن أمه .قد تكون لها يد في الموضوع والموضوع أكبر من أن يستوعبه رأسي ذو الاثني عشر ربيعًا. وخصوصًا بعد أن جاء ذكر أعضائها التناسيلية في عدة شعارات أخرى وجاء مع هذه الشعارات الجديدة أسئلة جديدة أكبر من الأسئلة المطروحة أصلًا عن هذه السيدة لا إجابات لها حتى عند أعظم دكاترة النساء في العالم .وجاء مع هذه الشعارات حشود أكثر وجمهور أكبر..

يبدو أن أم شارون تشغل الشارع العربي أكثر من شارون نفسه.

تلون الحشد بعدة ألوان وقل الأبيض تدريجيًا حتى اختفى تمامًا.